

التحرير والتنوير

(أ فأصفياكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما [40]) A
البنين فأعطاكم ا ا أفضلكم : والتقدير . عليه المفرع تقديره على يدل مقدر على تفريع E
وجعل لنفسه البنات . ومناسبته لما قبله أن نسبة البنات إلى ا ادعاء آلهة تنتسب إلى
ا بالبنوة . إذ عبد فريق من العرب الملائكة كما عبدوا الأصنام واعتلوا لعبادتهم بان
الملائكة بنات ا تعالى كما حكى عنهم في قوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمان
إناثا) إلى قوله (وقالوا لو شاء الرحمان ما عبدناهم) . فلما نهوا عن أن يجعلوا مع
ا إلها آخر خصص بالتحذير عبادة الملائكة لئلا يتوهموا أن عبادة الملائكة ليست كعبادة
الأصنام لأن الملائكة بنات ا ليتوهموا أن ا يرضى بان يعبدوا أبناءه .
وقد جاء إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدهم وهو أنهم بنات ا فإذا تبين
بطلان ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة .
فجملة (أ فأصفاكم ربكم بالبنين) إلى آخرها متفرعة على جملة (ولا تجعل مع ا إلها آخر
(تفريعا على النهي كما بيناه باعتبار أن المنهي عنه مشتمل عمومه على هذا النوع الخاص
الجدير بتخصيصه بالإنكار وهو شبهه ببدل البعض . فالفاء للتفريع وحققها أن تقع في أول
جملتها ولكن آخرها أن للاستفهام الصدر في أسلوب الكلام العربي وهذا هو الوجه الحسن في
موقع حروف العطف مع همزة الاستفهام .
وبعض الأئمة يجعل الاستفهام في مثل هذا استفهاما على المعطوف والعاطف والاستفهام إنكار
وتهكم .
والإصفاء : جعل الشيء صفوا أي خالصا . وتعدية أصفى إلى ضمير المخاطبين على طريقة الحذف
والإيصال . وأصله : أ فأصفى لكم . وقوله (بالبنين) الباء فيه إما مزيدة لتوكيد لصوق
فعل (أصفى) بمفعوله . وأصله : أ فأصفى لكم ربكم البنين كقوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم
(أ أو ضمن أصفى معنى أثر فتكون الباء للتعدية دالة على معنى الاختصاص بمجرورها . فصار
(أصفى) مع متعلقة بمنزلة فعلين أي قصر البنين عليكم دونه أي جعل لكم البنين خالصة لا
يساويكم هو بأمثالهم . وجعل لنفسه الإناث التي تكرهونها . وفساد ذلك ظاهر بأدنى نظر
فإذا تبين فساده على هذا الوضع فقد تبين انتفاء وقوعه إذ هو غير لائق بجلال ا تعالى .
وقد تقدم هذا عند قوله تعالى (ويجعلون البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) في سورة
النحل وقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثا) في سورة النساء .
وجملة (إنكم لتقولون قولا عظيما) تقرير لمعنى الإنكار وبيان له أي تقولون : اتخذ ا

الملائكة بنات . وأكد فعل (تقولون) بمصدره تأكيدا لمعنى الإنكار . وجعله مجرد قول لأنه لا يعدو أن يكون كلاما صدر عن غير روية لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلا .

والعظيم : القوي . والمراد هنا أنه عظيم في الفساد والبطلان بقرينة سياق الإنكار . ولا أبلغ في تقبيح قولهم من وصفه بالعظيم لأنه قول مدخول من جوانبه لاقتضائه إثارة بأدون صنفى البنوة مع تخويلهم الصنف الأشرف . ثم ما يقتضيه ذلك من نسبته خصائص الأجسام تعالى من تركيب وتولد واحتياج إلى الأبناء للإعانة وليخلفوا الأصل بعد زواله فأى فساد أعظم من هذا .

وفي قوله (اتخذ) إيماء إلى فساد آخر وهو أنهم يقولون (اتخذوا ولدا) . والاتخاذ يقتضي أنه خلقه ليتخذه وذلك يناهى التولد فكيف يلتئم ذلك مع قولهم : الملائكة بنات أو من سروات الجن وكيف يخلق الشيء ثم يكون ابنا له فذلك في البطلان صغث على إباله . (ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا وما يزيدهم إلا نفورا [41]) لما ذكر فطاعة قولهم بان الملائكة بنات أو أعقب ذلك بان في القرآن هديا كافيا ولكنهم يزدادون نفورا من تدبره .

فجمله (ولقد صرفنا في هذا القرآن) معترضة مقترنة بواو الاعتراض . والضمير عائد إلى الذين عبدوا الملائكة وزعموهم بنات أو . والتصريف : أصله تعدد الصرف وهو النقل من جهة إلى أخرى . ومنه تصريف الرياح وهو هنا كناية عن التبیین بمختلف البيان ومتنوعه . وتقدم في قوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) في سورة الأنعام .